أ.د. عائشة يوسف المناعي

عميدة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الدوحة - قطر

قالوا في التقريب والوحدة

دور التقريب في الوحدة العملية للأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله وعلى آلك وصحبك ومن تبعك بإحسان إلى يوم الدين.

دعانا القرآن الكريم إلى الوحدة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

ورسولنا الذي نؤمن به جميعاً ونتأسّ به، والذي نتبع ما يأتينا به وما ينهانا عنه ننتهي.. دعانا إلى المحبة والمودة والتعاطف فيما بيننا بقوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

هذا الجسد ليس جسداً مادياً، وإنما هو جسد المحبة والأخوة، هو جسد واحد بأدمغة كثيرة ونفوس متعددة وبأشكال مختلفة، متحدين في إنسانيتهم وأصول دينهم، لا يناقض تلك الوحدة اختلافهم وتمذهبهم بل يؤكد الخالق عز وجل سنته ومشيئته في كونه وفي خلقه بأن يجعل الوحدة مقترنة بالاختلاف، ولذلك لم يأمر الخلق أن يكونوا صيغة واحدة تتحرك في اتجاه واحد، فقال: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ

خَلَقَهُمْ﴾[٣].

والمسلمون كغيرهم من مخلوقات الله يتحقق فيهم الاختلاف والتنوع والتعدد فاختلفوا في مذاهبهم العقائدية والفقهية بعد انقضاء عهد الرسالة، وباد الكثير من تلك المذاهب، وبقيت واستمرت إلى زمننا هذا مذاهب أخرى: حنبلي وشافعي ومالكي وحنفي من اهل السنة، وبقي المذهب الإمامي الاثنا عشري، وبقي المذهب الزيدي وأيضاً المذهب الإباضي، وهذا الاختلاف يعتبره العلماء ثروة فكرية غنية للحضارة الإسلامية، تمنح المسلم فرصاً واسعة لعملية تطبيق الشريعة واختيار الأصلح والأرجح، بما لا يمس ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولا يمس الأصول الثابتة المتفق عليها بين أطياف المذاهب.. كل ذلك والأمر متسق مع البشرية ومع الدين ومع العقل والمنطق، إلا أنّ وما أشد تلك (الأن): أن يتحول ذلك الاختلاف وتلك الرحمة إلى تشدد طائفي ومذهبي؛ فهذا ما لا يقره الدين ولا يفهمه العقل، ذلك التشدد الذي من خلاله تتبادل عبارات، التكفير والتفسيق والتبديع وتزهق من خلاله روح الحوار، تلك خطورة ما بعدها خطورة نقضي بها على أنفسنا وديننا بيدنا قبل أن تكون بيد عمرو.

هذه المرحلة تعد من أخطر مراحل التاريخ الإسلامي المعاصر، وبقدر تلك الخطورة يزداد احتياجنا إلى إعمال العقل وبشدة .. نحتاج فيها إلى الحوار والمصارحة الهادئة.. لا تجريح ولا تكفير ولا إساءة .. نحتاج إلى وأد الفتنة وكل ما يؤدي إليها، ولن يكون ذلك إلا عن طريق الدعوة إلى الوحدة والتقريب، وحين نقول التقريب لا نقصد به انصهار أو ذوبان أودمج مذهب في آخر، فهذه فكرة خيالية لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع، وإنما نقصد به كما ذكرنا سابقاً الوحدة + الاختلاف مع دفع الخصومة والعداء بين الأخوة والأحبة.

الهوامش:

١ - آل عمران/ ١٠٢ - ١٠٣.

٢ - الأنفال/ ٤٦.

٣ - هود/ ١١٨- ١١٩ .